على الغلاف

العراق أمام التحدّي الأصعب: نحو إقرار قانون طرد الأميركيين؟

بغداد - **الأخبار**

على اختلاف توجّهاتها ومواقفها، تواجه الأحزاب والقوى العراقية تحدّياً جدّياً قد يكون الأصعب منذ سقوط مدينة الموصل بيد تنظيم «داعش» في حزيران/ يونيو 2014. هذه القوى وبدءاً من اليوم، أمام تحدّي تحقيق استقلال البلاد وسيادتها، بعد العدوانين الأميركيين في الأيام القليلة الماضية، والذي أسفر ثانيهما عن استشهاد نائب رئيس «هيئة الحشد الشعبي» أبو مهدي المهندس، إلى جانب قائد «قوّة القدس» في الحرس الثوري الإيراني قاسم سليماني وآخرين. الأميركيون، بعدوانهم ووقاحته، لا يحسبون حساباً للدولة العراقية كما بدا واضحاً، بل ينظرون إلى هذا البلد كساحة لتصفية حساباتهم

> **عبد المهدي رفض تلقّي أيّ اتصال من الرئيس الأميركي دونالد ترامب ووزير خارجيته مايك بومبيو**

مع إيران وحلفائها، اغتيال المهندس (بمعزل عما سيؤول إليه الموقف الإيراني من اغتيال سليماني) يفرض على الدولة العراقية إعادة الاعتبار إلى موقعها الهشّ، خصوصاً أن الشهيد المهندس شخصية رسمية تتولّى منصباً حكومياً فيها، يمثّل جوهر الروح الوطنية في الحرب على «داعش» (2014 - 2018).

ويأتي اغتيال نائب رئيس هيئة «الحشد» في سياق مشروع أميركي لتصفية الأخير. قبل أشهر، وفي لقاء مع «الأخبار»، أشار المهندس إلى أن واشنطن «تقود مشروعاً لتصفية الحشد والقضاء عليه، وتفريغه من البيئة المحيطة به والمؤيدة له»، مضيفاً أن «المشروع بدأ باستهداف مقارّ الحشد (الصيف الماضي)، وسيُتبع بتصفيات جسدية لقادة الحشد وفصائل المقاومة». كانت لدى المهندس معطيات تفيد بأن انتصار العراقيين على «داعش»، بالتعاون مع الإيرانيين، ومن دون الحاجة الفعلية إلى الولايات المتحدة، سيكون سبباً كافياً لإطلاق مشروع تصفية «الحشد» الذي بات يمثّل يد العراق الطولى، بل ولم يعد محصوراً داخل حدوده. دور المهندس ورفاقه في بناء «قوة وطنية ذات قرار سيادي مستقل»، كان جزءاً لا يتجزّأ من مقدمات عملية الاغتيال.

قضت واشنطن على قائد عراقي كان له الدور الأبرز في الانتصار على «داعش»، مفتتحةً بذلك العام بـ«تصعيد خطير يشعل فتيل حرب مدمّرة في العراق والمنطقة والعالم»، بتعبير رئيس الوزراء المستقيل، عادل عبد المهدي، الذي اعتبر، في بيان، أن «اغتيال قائد عسكري عراقي يشغل منصباً رسمياً يُعدّ عدواناً على العراق دولة وحكومة وشعباً»، مضيفاً أن العدوان الأميركي يشكّل «خرقاً فاضحاً لشروط تواجد القوات الأميركية في العراق، ودورها المحصور بتدريب القوات العراقية ومحاربة داعش، ضمن قوات التحالف الدولي وتحت إشراف الحكومة العراقية»، داعياً الكتل البرلمانية إلى «جلسة استثنائية استناداً إلى أحكام المادة 58 من الدستور، لتنظيم الموقف الرسمي واتخاذ القرارات التشريعية والإجراءات الضرورية المناسبة».

وبحسب معلومات «الأخبار»، فإن عبد المهدي رفض تلقّي أيّ اتصال من الرئيس الأميركي دونالد ترامب ووزير خارجيته مايك بومبيو،

(أ ف ب)

احتجاجاً على عملية الاغتيال، توازياً مع سعيه إلى دفع البرلمان لـ«إعادة النظر» في الاتفاقية الأمنية «صوفا» (2009). المعنية بتنظيم عملية الانسحاب الأميركي من العراق، والقسم الثالث من اتفاقية الإطار الاستراتيجي (المعنية بتنظيم عملية التعاون العسكري والأمني بين الجانبين، والموقعة عام 2008). لكن وفق المعلومات، فإن اتصالات الساعات الماضية كشفت عن تضارب في وجهات النظر في هذا الشأن بين كتل «البيت الشيعي»، والمنقسمة على ثلاثة آراء:

1- «تحالف البناء» (ائتلاف نيابي يضمّ هادي العامري ونوري المالكي وآخرين) يدفع في اتجاه إقرار قانون إخراج الأميركيين.

2- كتلتا عمار الحكيم وحيدر العبادي تقولان إن الإلغاء يجب أن يكون عن طريق الحكومة وليس البرلمان، على اعتبار أن الأمر متعلّق بـ«اتفاقية» وبالتالي فهو لا يحتاج إلى قانون. لكن في الواقع، يبدو موقفهما أقرب إلى مناورة سياسية تغطّيان من خلالها تهرّبهما من المواقفة على مشروع القانون.

3- كتلة مقتدى الصدر، وعلى رغم أن موقف زعيمها بدا عالي السقف في الساعات الأخيرة، إلا أن ما ستتبنّاه في هذا الإطار ليس مضموناً بشكل كامل، وعليه، يفترض الانتظار حتى غد الأحد، موعد الجلسة المرتقبة، لمعرفة توجّهها الحقيقي.

على خطّ موازٍ، تتجّه الأنظار إلى ما سيكون عليه موقف فصائل المقاومة، سواءً تم إقرار القانون في البرلمان أم لم يتمّ، علماً أن الفصائل باتت تملك الحق الكامل في الركون إلى الخيار الميداني، والذي سيدخل معه العراق والمنطقة - في حال تحقّقه - مرحلة جديدة من المواجهة.

إسرائيل «ترتاح» من أكبر الأعداء: أسئلة اليوم التالي

يحيى دبوق

لا جدال في أن الفائدة الاستراتيجية التي تحقّقت لإسرائيل، جرّاء الاستهداف الأميركي لقائد «فيلق القدس» اللواء قاسم سليماني، كبيرة جدّاً. إخراج الرجل من المعادلة يؤمّن لإسرائيل، وفق ما ورد في التقارير العبرية أمس، «الانفكاك عن أكبر أعدائها على مرّ كلّ الأزمنة».

فائدة استراتيجية أخرى جنتها تل أبيب من اغتيال نائب رئيس هيئة «الحشد الشعبي» في العراق، أبو مهدي المهندس، أحد القادة المتقدّمين إيرانية بمستويات عالية، وهو ما يُخرجوا القوة العراقية الرافضة للاحتلال من حيّز الإمكان إلى الفعل. لكن تلك الفوائد، على أهميّتها، لا ترقى وحدها إلى التسبّب بتغيير فعلي في البيئة الاستراتيجية لإسرائيل، والتي باتت مشبعة بالتهديدات ومقبلة على مزيد منها. وهنا محلّ القلق الإسرائيلي الذي ينطوي عليه الترحيب بعملية الاغتيال. قلقٌ لا يرتبط فقط بإمكانية أن يكون الكيان العبري بين أهداف الردّ الإيراني، بل يتصل بنوايا الحليف الأميركي، وما إن كان مستعدّاً فعلاً للذهاب بعيداً في المواجهة مع إيران حتى كسرها. وفي هذا الإطار، تخشى تل أبيب من أن تكون خطة الإدارة الأميركية مقتصرة على هدف محدود: ردع إيران وحلفائها.

عملية اغتيال سليماني، بوصفه شخصية إيرانية وازنة واستراتيجية، ستجرّ حكماً، بحسب صحيفة «هآرتس»، ردوداً إذا ما كان اغتيال سليماني مقدّمة لخطوات لاحقة ضمن استراتيجية أميركية محدّدة مسبقاً، تستهدف إخراج إيران من العراق وسوريا والإقليم. لكن هل هذا هو الهدف الأميركي؟ لا إجابات إسرائيلية قاطعة، وإنما تقديراتٌ، لعلّ أبرزَ من عبّر عنها، أمس، الرئيس السابق لشعبة الاستخبارات العسكرية في الجيش الإسرائيلي، الرئيس الحالي لـ«مركز أبحاث الأمن القومي»، اللواء عاموس يدلين. إذ رأى أن «إيران وأميركا غير معنيتين بأن تتسبّبا بحرب بينهما، على رغم أنهما تسيران حالياً على حافة المواجهة، علماً أنه في الديناميكية الاستراتيجية يُمنع افتراض أن الخصم سيستمرّ في التصرّف كما في الماضي. استمرار الأمور على حالها مرهون بالردّ الإيراني، في حين أن الحفاظ على الردع الذي

> **تخشى تل أبيب من أن تكون خطة الإدارة الأميركية مقتصرة على هدف محدود**

أُنجز، ومنع ردّ إيراني ضمن ضبط التصعيد، هو تحدّ استراتيجي للولايات المتحدة».

في التسريبات العبرية أمس، ورد أيضاً أن إسرائيل كانت على علم مسبق باستهداف سليماني، بل إن عملية اغتياله شكّلت مادّة للأخذ والردّ في الزيارات والاتصالات المتبادلة بين الجانبين، ومن بينها ثلاثة اتصالات هاتفية أخيراً بين رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو ووزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو (القناة 12). ولذا «لم تفاجأ إسرائيل بالتصفية الدراماتيكية» لسليماني. لكن، مع ذلك، رفض نتنياهو الإجابة عن سؤال عمّا إذا كان على علم مسبق بالضربة، في ما بدا محاولة متجدّدة لضمان إبقاء إسرائيل بعيدة عن المواجهة الأميركية - الإيرانية. وكان نتنياهو قرّر قطع زيارته إلى اليونان، والعودة إلى فلسطين المحتلة، توازياً مع إصداره تعليمات إلى وزرائه بالامتناع عن التعليق خوفاً من التبعات. وفي حديث مع الإعلاميين حرص مكتبه على تعميمه، قال نتنياهو إن «للولايات المتحدة الحق في الدفاع عن مواطنيها ومصالحها»، مضيفاً أن «سليماني كان المسؤول عن مقتل العديد من المواطنين الأميركيين ومدنيين عزّل آخرين»، وأنه «خطّط للمزيد من الاعتداءات الإرهابية». ورأى أن «ترامب تصرّف بحزم وبقوة وبسرعة، وإسرائيل تقف إلى جانب الولايات المتحدة في النضال من أجل توفير الأمن والسلام والدفاع عن النفس».

من جهته، سارع وزير الأمن، نفتالي بينت، إلى عقد جلسة تقييم وضع في تل أبيب، بمشاركة رئيس أركان الجيش أفيف كوخافي، وكبار المسؤولين الأمنيين الآخرين، تقرّر في أعقابها، بحسب مصادر عسكرية، رفع مستوى التأهب العسكري على كلّ الجبهات، ولا سيما الجبهة الشمالية (لبنان وسوريا).

الراقص على حبال الموت

هادي أحمد

فجر 12 شباط/ فبراير 2008، كان الوقت مناسباً لتنفيذ عملية الاغتيال. عندما نزل عماد مغنية من سيارته في منطقة كفرسوسة، رصد منفّذو العملية وجود شخص آخر إلى جانبه؛ لم يكن إلا القائد «فيلق القدس» قاسم سليماني. تحدث الرجلان وقوفاً قليلاً، قبل أن يدخلا أحد الأبنية للاجتماع مع قادة فلسطينيين. أتيحت للموساد، يومها، فرصة لا تتكرّر لقتل الرجلين معاً. لكن المعادلات وقتها على الإسرائيليين عدم المساس بسليماني. انتظر المنفّذون خروجه من المكان وحيداً. فيما كان في طريقه إلى المطار، خرج مغنية من المبنى لتحين الساعة الصفر، ويتمّ الضغط على زرّ التفجير. أقلّ من 5 سنوات كانت كافية ليعبّر عدد من قادة الاستخبارات، الأميركية والإسرائيلية، عن ندمهم على تفويت تلك الفرصة، خصوصاً أن دور الرجل تطوّر حتى بات «الوحيد القادر على جرّ الجيش الإسرائيلي إلى حربه المقبلة»، بحسب تعبير رئيس الموساد السابق تامير باردو.

لم تكن تلك المرة الأولى ولا الأخيرة التي اقترب فيها سليماني من حافة الموت. الرجل، الذي عُيّن قائد لواء، وهو لمّا يزل في الـ19 من عمره، وضعته الظروف على حافة الشهادة مرات عدّة، فضلاً عن إصابات بالغة تعرّض لها غير مرة، في إيران والعراق وسوريا ولبنان. مسافة صفر من العدو كانت أمراً معتاداً بالنسبة إليه. عام 2004، على الحدود اللبنانية - الفلسطينية، كان هو والحاج عماد وقياديون آخرون يتجوّلون على الحدود، متجهين صوب نقطة المنارة. اقتربوا لحظتها من السلك لمعاينة المشهد من هناك. توقفوا قليلاً. وبعد لحظات وصلت دبابة وآلية إسرائيليتان. ترجّل منهما الجنود سريعاً ووجّهوا الأسلحة نحوهم. لم يتزحزح أحد منهم، بل على العكس، قاموا هم أيضاً برفع الأسلحة بوجه الجنود. ساد صمت لدقائق معدودات لم يبادر فيها أحد إلى فتح النار، قبل أن يتراجع الإسرائيليون ويكملوا دوريتهم، ويبقى الحاج قاسم ومَن معه في مكانهم.

> **لم تكن واقعة 2008 المرة الأولى او الأخيرة التي اقترب فيها سليماني من حافة الموت**

عام 2006، وبحسب ما يروي أحد قادة «سي آي إيه»، وصل الى الاستخبارات الأميركية تقريرٌ مفاده أن موكباً إيرانياً يضمّ سليماني يتجه نحو شمال العراق. جرى البحث سريعاً في القرار الذي يجب اتخاذه: هل نهاجم القافلة؟ هل نفجّرها؟ أم لا نفعل شيئاً؟. «كنا متأكدين 100% أن قاسم كان هناك»، يقول القائد المذكور، مضيفاً أنه «كانت لدينا مشروعية ملاحقته وتصفيته». انتظر الأميركيون حتى يصل الموكب مكاناً يمكنهم فيه السيطرة عليه. اعتقلوا خمسة أشخاص أقرّوا لاحقاً بأنهم دبلوماسون إيرانيون، لكن سليماني، الذي كان على متن الموكب بالفعل، «باغتنا ونجح في الخروج منه من دون أن نتمكن من رؤية ذلك»، وفق المسؤول الأميركي.

في سوريا، وبعد دخول معركة القصير أسبوعها الثاني، زار سليماني غرفة العمليات للاطلاع على مسار المعركة. أُفردت له خريطة العمليات. لكنه أراد أن يعاين المشهد بنفسه. طلب الوصول إلى مركز بلدية المدينة، خطّ التماس الأخير. تقدّم مع قائد المعركة رويداً رويداً داخل القصير، وكلّما كان القائد يطالبه بالاكتفاء، كان يطالب بالمزيد، علماً أن السيد حسن نصر الله أوصاه شخصياً بألا يخاطر بنفسه. لكنه سليماني ظلّ مصرّاً على الوصول إلى أقرب نقطة، أي على بعد أمتار من المسلّحين. هناك، وقف بارتياح، ليوصي بإقامة غرفة عمليات متقدّمة تكون أقرب إلى مجريات المعركة.

تعرّض لمحاولات أخرى سابقة ولاحقة أدّت إلى جرحه. كما تعرّض لمحاولات اغتيال أثناء معالجته في المستشفيات. أثناء الحرب الإيرانية - العراقية، تعرض لإصابة بليغة في صدره. ينقل الدبلوماسي صادق خرازي أن أحد أنصار «المنافقين»، وكان يرأس غرفة العمليات، أبقي صدر سليماني مفتوحاً ليزداد وضعه صعوبة، قبل أن تنتبه ممرضة للأمر وتبلغ المعنيين. محاولات كثيرة، جميعها باءت بالفشل، قبل أن يقضي «الحجي» في كمين الفجر في بغداد.

«عماد مغنيّة» شهيداً...

قاسم س. قاسم

خرجت صورة قائد قوة القدس قاسم سليماني للمرة الأولى إلى العالم بعد عام 2008، عقب استشهاد صديقه القائد العسكري للمقاومة الإسلامية في لبنان الحاج عماد مغنية. ينقل عارفو سليماني أن خروجه إلى الضوء جاء كردة فعل على استشهاد مغنية.

العلاقة بين الرجلين عاينها العدو بعينه. يروي الصحافي الإسرائيلي يوسي برغمان في كتابه «أنهض واقتل»، أنه صبيحة اغتيال الحاج رضوان، في 12 شباط 2008، رصدت أعين الاستخبارات الإسرائيلية مغنية واقفاً مع صديقه الحاج قاسم بالقرب من تسمح الإدارة الأميركية بقتلهما معاً لاعتبارات عدة، بينها أن قتل سليماني قد يؤدي إلى حرب مع إيران، وأنه يريد ضمان «قتل الهدف». بعد اغتيال مغنية، احتفظ سليماني بـ«الكنزة» السوداء التي كان يرتديها الحاج عماد لحظة استشهاده. وضعها في صندوق زجاجي في صالون بيته في طهران. فوق الصندوق، ثبّت لوحة عليها صور قادة وشهداء إيرانيين ولبنانيين (بينهم السيد موسى الصدر والسيد حسن نصر الله) وفلسطينيين وعراقيين وأفغان، والثائر الليبي عمر المختار. مرات عدة، عبّر الحاج قاسم عن اشتياقه للحاج رضوان، وكيف أنه باستشهاده فقد صديقاً من الصعب تعويضه. كان يشير إلى كنزة صديقه ويطلب من زائريه التدقيق في الثقوب التي خلفتها الكرات المعدنية التي اخترقت جسده. اعتاد الحاج قاسم استرجاع لحظة استشهاد مغنية، وكيف وجده أحد رفاقه ساجداً. أحب سليماني إخبار زائريه عن علاقته بمغنية ولم يقدر على منع انسياب الدمع خلال حديثه عنه. بعد استشهاد الحاج رضوان، أصبح سليماني فرداً من عائلة مغنية. اعتبر نفسه مسؤولاً عنها.

بعض أفراد عائلة الحاج عماد كانوا قد التقوا سليماني سابقاً، لكنهم لم يكونوا يعرفون هويته. كل ما عرفوه عنه أنه «صديق عماد». إبان حرب تموز ـ آب 2006، شاهدت زوجة الحاج عماد، سعدى بدر الدين، قاسم سليماني مع زوجها عندما كانا يحضران لتسلّم الطعام منها، في نقطة متفق عليها مسبقاً في الضاحية. كانت تنظر إليهما، متسائلة عن الرجل الذي لا يفارق زوجها والذي يُحتمل أن يقتل معه في أي لحظة. لم تعرف أنه قاسم سليماني إلا ما بعد استشهاد رفيق عمرها.

في الآونة الأخيرة، استذكر الحاج قاسم بعضاً من أيام حرب تموز التي قضاها في لبنان برفقة الشهيد مغنية والسيد نصر الله. في إحدى المرات، كان الموت قاب قوسين أو أدنى من الثلاثة. خرجوا من المكان الذي كانوا فيه، تظلّلوا بشجرة كبيرة بعدما شعروا بأن مقرهم في الضاحية الجنوبية لبيروت سيستهدف. طلب عماد من سليماني حماية السيد نصر الله. غاب لدقائق وعاد يقود سيارة. صعدوا فيها، ولحظات حتى انهمرت الصواريخ الإسرائيلية مستهدفة المكان الذي كانوا فيه. قاد الحاج عماد السيارة بسرعة كبيرة حتى وجد الثلاثة أنفسهم في منطقة بعيدة جداً. انتبهوا إلى أنهم ابتعدوا كثيراً عن الخطر، فكانت ردة فعلهم الضحك. يسرد الحاج قاسم هذه الرواية، ويختمها بابتسامة قائلاً: «ما لا يفارق ذهني وما لم أتمكن من سؤال عماد عنه، هو من أين أتى بالسيارة؟».

بعد الحرب، توطدت علاقة سليماني مع عائلة مغنية، وخصوصاً أنه في مرات عدة رافق الحاج رضوان وانتظره للانتهاء من لقاء عائلته. بعد استشهاد مغنية، حرص سليماني، خلال زياراته لبيروت، على لقاء أفراد العائلة والاطمئنان إلى أحوالهم، ومتابعة تفاصيلهم اليومية. بدورها، عائلة الحاج عماد اعتبرت سليماني واحداً منها. فلطالما كانت الحاجة أمنة سلامة (أم عماد)، تعاتبه، لمخاطرته بنفسه، ولعدم نيله قسطاً كافياً من الراحة والنوم.

عند استشهاد جهاد عماد مغنية، شعر سليماني بأنه فقد ولده. جاء إلى منطقة القبيري في الضاحية الجنوبية لبيروت، وقف مستقبلاً المعزّين، متجاوزاً المخاطر التي أحاطت بعد التهديدات الإسرائيلية باستهدافه بسبب العمل العسكري على جبهة الجولان. ليلة استشهاد «جهاد الكبير» (كما تلقّبه عائلته)، توجّه سليماني إلى قبره، وانتشر له فيديو وهو يقرأ القرآن على قبره. في إيران، وعلى مدى يومين، أقام مراسم العزاء وتقبّل العزاء برحيل جهاد.

في الذكرى السنوية العاشرة لاستشهاد الحاج رضوان، أطلق الحاج قاسم العنان لنفسه للحديث عن عماد. عند سؤاله: لماذا قررت الآن الحديث عن مغنية؟ كان يجيب أنه يحب الحديث عنه، لكنه يخاف أن لا يفيه حقه. تحضيراً لمهرجان الذكرى السنوية العاشرة، تابع سليماني التفاصيل، وسأل عن المتحدثين في الحفل، والأناشيد التي ستتلى، وأين سيجلس الحاضرون، وكان فرحاً على غير العادة. بعد الاحتفال، قال لمن التقاه في بيته إنه يتمنى أن يكون قد أعطى الحاج عماد بعض حقه.

عند وفاة الحاج فايز مغنية عام 2017، سارع الحاج قاسم إلى الاتصال لتقديم واجب العزاء. المعارك الدائرة في سوريا والعراق منعته من الحضور، لكنه كان حاضراً في التفاصيل، للتأكد من إجراء مراسم العزاء على أكمل وجه. عند مرض الحاجة أمنة، كانت المعارك في العراق على أشدها. ولدى دخولها في غيبوبة، اتصل طالباً وضع الهاتف على أذنها. فضول الحاضرين دفعهم إلى فتح مكبر الصوت لسماع ما سيقوله لها. عبّر لها بصوته عن محبته لها وحاجته إليها، قائلاً لها «نحن بحاجة لنصيحتكم ودعائكم».

عند وفاة الحاجة أمنة، حضر الحاج قاسم إلى بيتها معزياً. طلب من عائلتها سجدة من سجدات الصلاة التي كانت تصنعها بيديها، حملها واختار واحدة كانت آثار أصابعها وبصماتها عليها.

يقول من التقى الحاج قاسم، قبل ساعات من اغتياله في العراق، إنه كان هادئاً على غير العادة، وما لفتهم إطالته في الصلاة والدعاء أكثر من المعتاد. مع انتشار خبر استشهاده، لم تفقد «الحكيمة» (اللقب الذي كان يطلقه على زوجته) وأولادها أبهاهم فقط. فقدت عائلة عماد مغنية مرة أخرى أباً وأخاً. بالنسبة إليهم، عماد استشهد مجدداً.